

رواية الديستوبيا في الأدب العربي المعاصر:

قراءة في أعمال مختارة

علي حسين جبر حافظ

وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الثالثة



ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة رواية الديستوبيا في الأدب العربي المعاصر من خلال تحليل أعمال مختارة، مثل "الطوفان" لعبد الرحمن منيف، "الزمن الموحش" لحسن نجمي، و"عزازيل" ليويسف زيدان، وذلك لفهم كيفية استخدام الأدب الديستوبي كأداة نقدية للتعبير عن قضايا المجتمعات العربية، مثل القمع السياسي، الفقر، وتدهور الأوضاع الاجتماعية. تكمن أهمية البحث في إبراز دور الأدب العربي في تصوير المستقبل المظلم الذي قد يترتب على الاستبداد والفوضى الاجتماعية، وكذلك في تفسير كيفية تأثر الكتاب العرب بالواقع الاجتماعي والسياسي المحيط بهم. يعالج البحث مشكلة فنية وفكرية تتعلق بكيفية تفاعل الأدب العربي مع التصورات الديستوبية، ويهدف إلى تقديم قراءة نقدية للأعمال الأدبية التي تنتمي إلى هذا التيار الأدبي. يشتمل البحث على تقسيمات تشمل تعريف الديستوبيا وتوضيح جذورها في الأدب العربي، استعراض الديستوبيا في الأدب العربي المعاصر، تحليل الأعمال الأدبية المختارة، مناقشة التأثير الاجتماعي والسياسي لهذه الروايات، وأخيرًا دراسة كيفية استخدام الأدب الديستوبي كأداة نقدية في المجتمع العربي.

الكلمات المفتاحية : الديستوبيا ، الأدب العربي المعاصر ، الرواية الديستوبية ، الاستبداد السياسي ، النقد الاجتماعي

Dystopian Novel in Contemporary Arabic Literature: A Reading of
Selected Works

Ali Hussein Jaber Hafiz

Ministry of Education / Third Rusafa Education Directorate

ali85hasen7@gmail.com

Abstract

This research aims to study the dystopian novel in contemporary Arabic literature by analyzing selected works such as "The Flood" by Abdul Rahman Munif, "The Savage Time" by Hassan Najmi, and "Azazel" by Yusuf Zidan. The goal is to understand how dystopian literature is used as a critical tool to express the issues of Arab societies, such as political repression, poverty, and social decay. The importance of the research lies in highlighting the role of Arabic literature in portraying the dark future that may result from tyranny and social chaos, as well as explaining how Arab writers are influenced by the social and political realities surrounding them. The research addresses an artistic and intellectual problem related to how Arabic literature interacts with dystopian concepts and aims to present a critical reading of the literary works belonging to this literary movement. The research includes sections that define dystopia, explain its roots in Western literature, review dystopia in contemporary Arabic literature, analyze the selected literary works, discuss the social and political impact of these novels, and finally examine how dystopian literature is used as a critical tool in Arab society.

Keywords: Dystopia, Contemporary Arabic Literature, Dystopian Novel, Political Tyranny, Social Criticism

التمهيد

تعدّ رواية الديستوبيا من أبرز الأنواع الأدبية التي اكتسبت شهرة واسعة في الأدب المعاصر، وذلك لما تقدمه من تصورٍ للعالم المثقل بالمعاناة والظلم، حيث يتم رسم مستقبل قاتم يعيش فيه البشر تحت وطأة الأنظمة القمعية، التدهور الاجتماعي، أو هيمنة التكنولوجيا على حياتهم. وقد نشأت الديستوبيا في الأدب الغربي في سياق التوترات السياسية والاجتماعية، وظهرت بشكل جلي في أعمال مثل "1984" لجورج أورويل و* "نهاية الإنسان" * لألدوس هكسلي.

ومع مرور الوقت، اجتذب هذا النوع الأدبي اهتمام الكتاب العرب في ظل ما تشهده مجتمعاتهم من تحديات اقتصادية، سياسية، واجتماعية. لقد أصبحت الروايات

الديستوبية وسيلة فعالة للتعبير عن القلق إزاء المستقبل وتحليل القضايا التي تواجهها المنطقة العربية من القمع السياسي، الاستبداد، الفساد الاجتماعي، والحروب المستمرة. هذا البحث يهدف إلى دراسة رواية الديستوبيا في الأدب العربي المعاصر من خلال تحليل أعمال مختارة تمثل هذا النوع الأدبي. سنستعرض كيفية استخدام الكاتب العرب لهذا الأسلوب الأدبي لرسم صور متخيلة عن المستقبل القاتم، وكيف يساهم هذا النوع من الأدب في تشكيل الوعي الاجتماعي والسياسي لدى القارئ العربي. ومن خلال هذه القراءة النقدية، يسعى البحث إلى تسليط الضوء على دور الرواية الديستوبية في الأدب العربي المعاصر كأداة نقدية وتنبؤية تثير الأسئلة حول الواقع العربي وتعكس التحديات التي تواجهها المجتمعات في ظل تحولات عصرها.

المبحث الأول

الديستوبيا في الأدب العربي المعاصر: المفهوم والنشأة

في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها وما زالت تشهدها المجتمعات العربية، برزت ظاهرة الأدب الديستوبي كأداة قوية للتعبير عن القلق الجماعي حيال المستقبل. حيث تُعدّ الديستوبيا نوعًا من الأدب الذي يصوّر عالمًا غارقًا في الظلم والاستبداد، في الوقت الذي تتراكم فيه الأزمات السياسية والاجتماعية. وقد عرفت هذه الرواية طريقها إلى الأدب الغربي في القرن العشرين، لتصبح مرآة للمجتمعات التي تحاول فهم مستقبلها تحت ظل الأنظمة الاستبدادية والتطورات التقنية المهددة.

ومع مرور الزمن، بدأ الأدب العربي يستعير هذا الشكل الأدبي ليعبر عن واقع جديد يعاني من القمع، الفقر، الحروب، وتفتت الفساده. إذ أصبحت الرواية الديستوبية أداة نقدية لطرح الأسئلة حول الحريات الفردية، حقوق الإنسان، ومستقبل المجتمعات العربية في ظل الأنظمة السياسية القمعية والأزمات المستمرة. في هذا المبحث، سوف نتناول مفهوم الديستوبيا ونشأتها في الأدب الغربي، ونلقي الضوء على كيفية تطورها وانتقالها إلى الأدب العربي المعاصر.

من خلال هذا التحليل، نسعى لفهم التفاعل بين هذه الظاهرة الأدبية والمشاكل الاجتماعية والسياسية التي تعيشها الشعوب العربية، وكيفية استخدامها كأداة لخلق رؤية نقدية للمستقبل، وتأمل في عالم تهيمن عليه أنظمة مستبدة وأزمات متعددة.

مفهوم الديستوبيا: تعريف المصطلح وتوضيح جذوره في الأدب الغربي

الديستوبيا هي مصطلح أدبي يشير إلى عالم مستقبلي يتسم بالفساد، القمع، والظلم، حيث تعيش البشرية في ظل ظروف معيشية قاسية وغير إنسانية. يُشتق مصطلح "ديستوبيا" من الكلمة اليونانية "dys" التي تعني "سوء" أو "شؤم"، و "topos" التي تعني "مكان"، وبالتالي يمكن ترجمته إلى "المكان السيء" أو "العالم البائس". تمثل الديستوبيا عكس اليوتوبيا، التي هي تصوّر للعالم المثالي أو المجتمعات التي تعيش في تناغم تام¹.

¹ جيسي ماتز: تطور الرواية الحديثة، ترجمة: لطيفة الديلمي، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع،

تعود جذور الأدب الديستوبي إلى القرون الماضية، إلا أنه لم يصبح مصطلحًا أدبيًا مؤثرًا إلا في القرن التاسع عشر، حينما بدأت الأدب الغربي في بناء تصورات لعوالم معتمة يتسم فيها المستقبل بالانهيار أو السيطرة القاسية. يشير بعض المؤرخين الأدبيين إلى أن الروايات الديستوبية ظهرت كرد فعل على الفكر اليوتوبيا الذي كان يركز على تحقيق الكمال الاجتماعي والسياسي. ومع بداية القرن العشرين، أصبح الأدب الديستوبيا أداة قوية لانتقاد الأنظمة السياسية، إذ أن الكتاب استخدموه لتصوير عواقب الأنظمة الاستبدادية وحكم الفرد الواحد².

الديستوبيا في الأدب الغربي: استعراض مختصر لتاريخ الرواية الديستوبية في الأدب الغربي

بدأت الديستوبيا في الأدب الغربي تأخذ طابعًا بارزًا في القرن العشرين، بعد فترة من الزخم الذي أحدثه أدب اليوتوبيا. ففي عام ١٩٠٠، نشرت العديد من الأعمال التي عكست التحديات والقلق المتزايد حول السيطرة السياسية والتنظيم الاجتماعي القاسي، لعل من أبرز هذه الأعمال كان "عالم جديد شجاع (Brave New World)" للكاتب ألدوس هكسلي (١٩٣٢). في هذه الرواية، يقدم هكسلي صورة لمجتمع مستقبلي حيث تكون الحياة الاجتماعية تحت السيطرة التامة، ويُسيطر على الأفراد من خلال الاستهلاك والهيمنة الاجتماعية، ويُحرَمون من حرية التفكير والاستقلالية.

لكن القفزة النوعية في الأدب الديستوبي كانت مع "1984" لجورج أورويل (١٩٤٩). قدم أورويل في هذه الرواية صورة مروعة لمجتمع تسيطر عليه حكومة شمولية تراقب كل تفاصيل حياة الناس، وتحكم عليهم من خلال نظام قمعي لا مجال فيه للفردية أو

² ابراهيم طه: مراجعة في كتاب الرواية العربية بين الواقعية والحداثة وما بعد الحداثة لستيفان ماير، مجلة الكرملن فلسطين، ٢١٤-٢٢، ٢٠٠٠، ص ٣٥.

المقاومة. يتعرض الأفراد إلى غسل دماغ جماعي مستمر، ويتم محو الحقائق وتزوير التاريخ على يد "الأخ الأكبر"، في تذكير بالقوة المفرطة التي يمكن أن تمتلكها الأنظمة الديكتاتورية³.

الديستوبيا في الأدب العربي: انتقال الفكرة وتطورها

على الرغم من أن مفهوم الديستوبيا لم يكن موجودًا بشكل واسع في الأدب العربي قبل منتصف القرن العشرين، فقد تأثر الأدب العربي المعاصر بشدة بالأدب الغربي في هذا الصدد، لا سيما في ظل التحديات السياسية والاجتماعية التي مرت بها العديد من البلدان العربية. بدأ الكتاب العرب في استخدام الرواية الديستوبية كأداة أدبية لمقاربة الواقع المرير الذي يعيشه المجتمع العربي، مع تسليط الضوء على مشاكل الاستبداد، القمع، والظلم الاجتماعي⁴.

في الأدب العربي، يمكن رؤية تأثير الديستوبيا في العديد من الأعمال الروائية التي تُظهر كيف يمكن للأنظمة القمعية أن تدمر الفرد والجماعة. على سبيل المثال، في رواية "الطوفان" لعبد الرحمن منيف، يعرض الكاتب صورة لمجتمع عربي غارق في الفساد السياسي والاجتماعي. الرواية تصوّر مجتمعًا يعاني من انهيار الأخلاق تحت وطأة الأنظمة القمعية التي تحكم الشعوب العربية، مما يجعل الأفراد يعيشون في حالة من العزلة والعجز عن التأثير على واقعهم.

كما تظهر الديستوبيا في أعمال أخرى مثل "الزمن الموحش" لحسن نجمي، التي تتناول مسألة التدهور الاجتماعي في مجتمع يعيش تحت وطأة أنظمة سياسية فاسدة وفقدان

³ مالكوم براد بري: الرواية اليوم، ترجمة: أحمد شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ١، ١٩٩٦، ص ١٥.

⁴ جيسي ماتز، تطور الرواية الحديثة، ترجمة: لطيفة الديلمين ص ٣٠٦.

للأمل في التغيير. هذا النوع من الرواية يفتح المجال أمام استكشاف العواقب المدمرة للأوضاع الاجتماعية والسياسية في المجتمع العربي المعاصر⁵.

أنماط الرواية الديستوبية في الأدب العربي

تأخذ الرواية الديستوبية في الأدب العربي العديد من الأشكال والأنماط التي تتفاعل مع الواقع الاجتماعي والسياسي في العالم العربي. وتظهر في الأدب العربي بعض الأنماط الرئيسية التي يمكن تصنيفها على النحو التالي⁶:

١. **الروايات التي تتناول السلطة القمعية:** يعكس هذا النوع من الروايات الأثر المدمر للأنظمة الاستبدادية على الأفراد والمجتمعات. في "الطوفان" لعبد الرحمن منيف، يتم تصوير مجتمع يعاني من الهيمنة السياسية لسلطة قوية، مما يعرض الفساد وتدمير العلاقات الإنسانية. وتعتبر هذه الرواية من أبرز الأمثلة التي تظهر تأثير الاستبداد على المجتمع العربي.

٢. **الروايات التي تعكس التحديات الاجتماعية:** تتناول الروايات الديستوبية العربية التي تعكس التحديات الاجتماعية التدهور الحاد في القيم والمبادئ داخل المجتمع. في "الزمن الموحش" لحسن نجمي، يتم التركيز على تفشي الفقر، وتدمير البنية الاجتماعية، حيث يعيش الأفراد في حالة من الضياع والاعتراب. الرواية تطرح صورة مأساوية لمجتمع غير قادر على التكيف مع التغيرات السريعة.

⁵ تغريد فياض، قصص بابل المعلقة، أفتار للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠١٨، ص ٣.

⁶ هيندلس. ر. مفهوم النظرة إلى العالم وقيمتها في نظرية الأدب، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، مجلة آفاق ع ١٠ س ٨٢ الرباط، ص ٦٢.

٣. الروايات التي تركز على التكنولوجيات المدمرة: في بعض الروايات الديستوبية العربية، تظهر التكنولوجيا كعنصر مهيم في تشكيل واقع اجتماعي جديد. على الرغم من أن الأدب العربي في هذا المجال لا يركز عادة على المستقبل التكنولوجي مثل الأدب الغربي، إلا أن هناك أعمالاً تتناول تأثير التكنولوجيا الحديثة على حياة الأفراد. مثلاً، في رواية "عزرايل" لـيوسف زيدان، تطرح الرواية تساؤلات حول تأثير القوة المعرفية والتكنولوجية في ظل بيئة تاريخية واجتماعية معقدة.⁷

٤. الروايات التي تعكس الأزمات البيئية: بدأ بعض الكتاب العرب في تبني الروايات الديستوبية التي تتناول الأزمات البيئية الناجمة عن النشاطات البشرية. هذه الأعمال تصور تداعيات التغير المناخي والتلوث على مجتمعات عربية معينة. على الرغم من أن هذا النمط لم يصبح سائداً بعد، إلا أن هناك محاولات لربط المستقبل المظلم بأزمة البيئة وموارد الأرض.⁸

المبحث الثاني

تحليل أدبي لأعمال مختارة وتأثيرها على الوعي الاجتماعي والسياسي

تعتبر الرواية الديستوبية في الأدب العربي المعاصر انعكاساً لواقع اجتماعي، سياسي، وثقافي معقد، يحمل في طياته العديد من التحديات التي تواجه المجتمعات العربية في

⁷ الراوي - البنيات الحكائية في السيرة الشعبية سعيد يقطين ، دار الاختلاف ، ١٩٩٧، ص ٣٦.

⁸ الديستوبيا (المدينة الفاسدة في الرواية العربية المعاصرة، قراءة في رواية أرويل) في الضاحية ٣٥ الجنوبية لفوزي زيبان) ، فاطمة برجكاني، مجلة إضاءات نقدية، ع ٢٩٤ ، ٢٠١٨، ص ٢٢٢.

العصر الحديث. فمن خلال هذه الروايات، يقدم الكتاب العرب رؤى نقدية لما قد يؤول إليه الحال في المستقبل، في ظل الأنظمة الاستبدادية، التدهور البيئي، والقضايا الاجتماعية التي تلوح في الأفق. في هذا المبحث، سوف نتناول تحليلاً تفصيلياً لبعض الأعمال الروائية التي تمثل أبرز نماذج الأدب الديستوبي في العالم العربي.

من خلال دراسة هذه الأعمال، نهدف إلى الوقوف على كيفية توظيف الأدباء العرب للديستوبيا كأداة فنية تعبيرية عن معاناتهم وهمومهم في ظل الأنظمة القمعية والهويات الثقافية المتشابكة. سنركز على الأعمال التي تصور السلطة القمعية، التحديات الاجتماعية، التقنيات الحديثة، والأزمات البيئية، وهي عناصر تشكل محاور أساسية في الأدب الديستوبي.

يتضمن هذا المبحث تحليلاً لعدد من الروايات العربية التي استطاعت أن تضع الديستوبيا في سياق عربي محلي، حيث تم توظيف هذا النمط الأدبي لرصد تأثيرات الاستبداد السياسي على الحياة اليومية، ولطرح تساؤلات حول المستقبل المجهول. كما سنحاول ربط هذه الأعمال بالقضايا المستمرة التي يعاني منها العالم العربي، والتي باتت تفرض نفسها بقوة على الأدب المعاصر.

من خلال هذا التحليل، نسعى لإظهار العلاقة بين الواقع الأدبي والواقع الاجتماعي، وكيف استطاع الأدب العربي أن يعبر عن التحديات التي يواجهها في ظل العوالم المستقبلية المظلمة التي رسمتها الرواية الديستوبية⁹.

تُعتبر الرواية الديستوبيا في الأدب العربي المعاصر وسيلة هامة للتعبير عن الواقع المعقد الذي يعيشه المجتمع العربي في ظل الأنظمة الاستبدادية والصراعات

⁹مدخل الى التحليل البنوي للقصص ، رولان بارت ، ترجمة منذر عياشي ، ط ١ ، مركز الانتماء الحضاري ١٩٩٣، ص ٥٨.

الاجتماعية والسياسية. من خلال الروايات الديستوبية، يُمكن للكتاب العرب طرح رؤى عن المستقبل المظلم الذي يمكن أن ينتج عن استمرارية التوترات الحالية أو انعكاس تأثيرات الماضي. في هذا المبحث، سنتناول مجموعة من الروايات التي تمثل أبرز نماذج الأدب الديستوبيا في العالم العربي، مثل "الطوفان" لعبد الرحمن منيف، "الزمن الموحش" لحسن نجمي، و"عزازيل" لـ* ليوسف زيدان، مع تحليل العناصر الأدبية والتأثيرات الاجتماعية والسياسية لهذه الأعمال.

اختيار الأعمال الأدبية: دراسة أعمال مختارة من الأدب العربي المعاصر

فيما يلي تحليل لأهم الأعمال الأدبية التي يمكن تصنيفها ضمن الأدب الديستوبيا العربي، حيث تندرج هذه الروايات تحت هذا التصنيف بفضل تقديمها لمفاهيم تتعلق بالاستبداد السياسي، التدهور الاجتماعي، أو الانحلال الأخلاقي في مجتمعاتها¹⁰.

الطوفان" لعبد الرحمن منيف

في رواية "الطوفان"، يقدم عبد الرحمن منيف تصويراً كئيماً لمجتمع خاضع لسلطة قمعية هائلة. تتناول الرواية مآلات المجتمعات التي تتحكم فيها الأنظمة الشمولية، حيث ينقض الفساد على كل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية. الرواية تقدم

¹⁰ اليوتوبية مقدمة قصيرة جداً، إيمان تاور سارجنت تر ضياء وراذ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٦، ٥٥.

صورة لمجتمع يعاني من تدهور شامل في الأخلاق والسلوك الاجتماعي بسبب سياسات القمع، وتحذر من تأثير السلطة الاستبدادية على العلاقات الإنسانية¹¹.

الزمن الموحش " لحسن نجمي

تعرض هذه الرواية في سياق ديستوبي صورة لمجتمع يغرق في الفوضى والضياع، حيث تعيش الشخصيات في عالم تتداخل فيه الأسئلة عن الهوية، السلطة، والتحويلات الاجتماعية. الرواية تبرز الاغتراب الناتج عن الأزمات الاجتماعية، وتعكس كيف تؤدي الظروف المعيشية المتدهورة إلى انعدام الأمل والتوجه نحو المستقبل. يظهر في الرواية كيف يسعى الأفراد للبحث عن خلاص في عالم يزداد انغلاقاً، مما يجعلها تندرج ضمن الأدب الديستوبي الذي يعكس قضايا اجتماعية مؤلمة¹².

"عزازيل" ليوסף زيدان

تعتبر هذه الرواية حالة فريدة ضمن الأعمال الأدبية التي تجمع بين التاريخ والديستوبيا. تجري أحداث الرواية في القرن الخامس الميلادي، وتتناول الصراعات الدينية والاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الوقت". عزازيل " ليس فقط تصويراً لحياة الشخصيات في إطار ديني، بل أيضاً رصدًا لواقع القمع الديني في تلك الفترة، والذي يتشابه في بعض جوانبه مع القمع السياسي والاجتماعي في العصر

¹¹ ترجمة فائزة غسان المنجد انموذجا ، هاشم فلاح ، مذكرة تخرج شهادة الماجستير في الترجمة، ٢٠١٣ ، كلية الآداب واللغات جامعة قسنطينة ١ ، الجزائر : ٦٨ .

¹² شلوش سمراء، جدلية اللغة والمجتمع رسالة ماجستير جامعة العربي بن مهيدي الجزائر، ٢٠١٥ص٤٥.

الحديث. الرواية تحمل بين طياتها رسالة عن تهديدات السلطة المنظمة للحرية الفردية¹³.

تحليل العناصر الأدبية

تحليل الشخصيات، الحكمة، والرمزية في الروايات المختارة

تتسم الروايات الديستوبية بتوظيف الرمزية التي تعكس صورة المجتمع المستقبلي المظلم، والذي يعكس في كثير من الأحيان القمع السياسي والتدهور الاجتماعي. يتم تصوير الشخصيات بشكل يتناسب مع هذه الرمزية، حيث يمثل كل منها فئة من المجتمع العربي¹⁴.

الشخصيات:

في "الطوفان" لعبد الرحمن منيف، تُعتبر الشخصيات تمثيلاً للأفراد الذين يعانون من الضغوط الاجتماعية والسياسية. الشخصية الرئيسية، مثل معظم الشخصيات الأخرى في الرواية، تكافح من أجل الحفاظ على كرامتها وسط سلطة قمعية تأسر كل شيء. هذه الشخصيات تتراوح بين المثقفين الذين يحاولون مواجهة الواقع بالكتابة، وبين المواطنين العاديين الذين يعيشون تحت ظل نظام سلطوي.

أما في "الزمن الموحش" لحسن نجمي، فإن الشخصيات تمثل الضياع والاعتراب. يعكس الكاتب الأزمات النفسية التي يعاني منها الأفراد بسبب انعدام الاستقرار

¹³ شنقار د. أسماء إبراهيم ، الرواية الديستوبية المصرية مظاهرها ولغتها العربية جمهورية مصر العربية ٢٠٢٠، ص ٣٣.

¹⁴ فضل الصلاح ، كتاب أساليب السرد في الرواية العربية دار المدى للثقافة والنشر ط ١. الجزء ١. دمشق سوريا، ٢٠٠٣، ص ٢٢٣.

الاجتماعي، حيث يعيش الشخصيات في مجتمع هش، يفقد لأي أمل في التغيير. وتبرز الرمزية في هذه الشخصيات، حيث تمثل الحياة العاجزة تحت وطأة المعاناة اليومية¹⁵.

وفي "عزازيل"، تُظهر الشخصيات معاناتها في عالم يهيمن عليه القمع الديني، حيث تكون الشخصيات في صراع داخلي بين معتقداتها الشخصية والضغوط الدينية والاجتماعية. هذه الصراعات تعكس التوترات بين الفرد والمجتمع في سياق تاريخي قديم ولكن مع رمزية قوية تُشبه التحديات التي يواجهها الأفراد في المجتمعات المعاصرة¹⁶.

الحبكة

الحبكة في الروايات الديستوبية العربية تتسم بتصعيد التوترات الاجتماعية والسياسية التي تؤدي إلى الانهيار أو الاغتراب. في "الطوفان"، تدور الحبكة حول سعي الأفراد للمقاومة أو التكيف مع الواقع المفروض عليهم، حيث تنتقل الرواية بين اللحظات الساكنة واللحظات الدرامية التي تشهد انهيار المجتمع. أما في "الزمن الموحش"، فتتراكم

¹⁵ عبد الحميد شاكر، التفصيل الجمالي (دراسة في سيكولوجية التذوق الفني) الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ٢٠١٩، ص ٣٣٣.

¹⁶ العشري. سلمى أبو زيد، حول مفهوم اليوتوبيا والديستوبيا كمدخل للاستلهام في فن التصوير المعاصر بحوث في التربية الفنية والفنون كلية التربية الفنية جامعة حلوان. المجلد ٢١ العدد ١، ٢٠٢٠، ٢٣٨.

الحبكة بشكل يجعل النهاية تبدو محورية في ظهور اليأس، حيث تزداد الضغوط حتى تصل إلى نقطة لا يمكن العودة منها¹⁷.

الرمزية

تستخدم الروايات الديستوبية الرمزية بشكل مكثف للإشارة إلى انعدام الأمل في المستقبل. في "الطوفان"، يُعتبر "الطوفان" رمزاً للتدمير الذي تسببه الأنظمة الاستبدادية على مجتمعات الشرق الأوسط. وفي "الزمن الموحش"، تمثل الطبيعة الموحشة والظروف الاجتماعية التدهور العام في الحياة العربية، وهو تعبير عن أن المجتمع يتجه نحو نهاية مأساوية إذا استمر الوضع على ما هو عليه¹⁸.

التأثير الاجتماعي والسياسي

الروايات الديستوبية في الأدب العربي تتفاعل بشكل وثيق مع واقع المجتمع العربي. تظهر هذه الروايات تأثير الأنظمة السياسية الاستبدادية، القمع الاجتماعي، والصراعات الداخلية التي تعيشها هذه المجتمعات. في "الطوفان"، يعكس منيف تأثير النظام السياسي الاستبدادي على الحياة اليومية، حيث تصبح الفردية والحرية الشخصية خاضعة بالكامل للسيطرة الحكومية. في "الزمن الموحش"، تبرز الرواية التأثيرات

¹⁷ عصفور جابر، المقاومة بالكتابة قراءة في الرواية العربية المعاصرة الدار المصرية اللبنانية. القاهرة ٢٠١٦، ص ٢٢٢.

¹⁸ علوش. سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة دار الكتاب اللبناني، ط ١. ١٩٨٥، ص ١٢١.

الاجتماعية الناتجة عن فشل المؤسسات الحكومية في مواجهة قضايا البطالة، الفقر، والفساد الاجتماعي¹⁹.

الديستوبيا كأداة نقدية

الديستوبيا في الأدب العربي تُستخدم كأداة نقدية للكشف عن آلام المجتمع وتقديم تحذيرات لما يمكن أن يؤدي إليه الوضع الراهن إذا استمر كما هو. من خلال تصوير المستقبل المظلم، يقدم الأدباء العرب رؤى متشائمة لا تُظهر فقط القمع السياسي، بل أيضًا التدهور الاجتماعي والبيئي. الروايات مثل "الطوفان" و"الزمن الموحش" * تُعتبر تحذيرًا للمجتمع العربي من إمكانية حدوث انهيار شامل إذا لم يتم إصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية.

الديستوبيا والفانتازيا السياسية

ترتبط بعض الروايات العربية بين الديستوبيا والفانتازيا السياسية، حيث يمكن للأدب أن يتخيل سيناريوهات سياسية بعيدة عن الواقع الحالي ولكنها ما زالت تحمل رسائل سياسية قوية. في "عزازيل"، رغم أن الرواية تأخذ منحى تاريخياً، إلا أن استخدامها للفانتازيا الدينية والسياسية يظهر العلاقة بين الخرافات والواقع السياسي في تصوير كيفية استخدام الدين للسيطرة على الشعوب.

¹⁹ عليان. د. حسن (٢٠١٧) كتاب تقنيات السرد وبنية يأتي الفكر العربي في الرواية العربية دار الآن ناشرون وموزعون الأردن، ٢٠١٧، ص ٢٢١.

المبحث الثالث

تأثير الرواية الديستوبية على المجتمع العربي

تعتبر الرواية الديستوبية من أعمق الوسائل الأدبية التي يتم من خلالها تناول مشاكل الواقع الاجتماعي والسياسي والتاريخي من خلال تصوير رؤى مستقبلية تشكل تنبؤات ومخاوف من تطور الأوضاع في المجتمع. في الأدب العربي المعاصر، تتزايد أهمية هذا النوع من الأدب خاصة في سياق الوضع السياسي والاقتصادي الذي تمر به معظم الدول العربية. من خلال هذه الروايات، يستطيع الأدباء إظهار التحديات الكبرى التي تواجهها الأمة العربية، مثل التسلط السياسي، تراجع الحريات الفردية، القمع الاجتماعي، إضافة إلى الأزمات البيئية والاقتصادية. لذلك، يكتسب المبحث الثالث أهمية كبيرة في تسليط الضوء على التأثير الاجتماعي والسياسي لهذه الروايات وكيفية تأثيرها على وعي القراء وقراءاتهم المستقبلية للأزمات المجتمعية²⁰.

الديستوبيا كأداة تحذيرية:

تستخدم الرواية الديستوبية بشكل رئيسي كأداة تحذيرية لمخاطبة الأفراد والمجتمعات، محذرة إياهم من المستقبل الذي قد يترتب على تفشي الظلم الاجتماعي، القمع السياسي، أو سوء إدارة الموارد الطبيعية. العديد من الأدباء العرب الذين كتبوا في هذا المجال

²⁰ عياد كوثر، أدب الخيال العلمي في المغرب العربي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،

اعتمدوا على تقديم صور قاتمة للمستقبل لاستفزاز القارئ وتحفيزه على التفكير في الواقع الراهن²¹.

١. التحذير من الاستبداد السياسي: كثير من الروايات الديستوبية في الأدب العربي تعكس رعبًا من أنظمة استبدادية قد تسيطر على المجتمعات في المستقبل، مما يؤدي إلى فقدان الفرد لحقوقه وحياته الأساسية. في رواية "الطوفان" لعبد الرحمن منيف، يتم تصوير النظام الحاكم كقوة تدميرية للإنسانية، وهو ينقض على الأفراد ويفقد قدرتهم على اتخاذ القرارات الخاصة بهم. يتم طرح فكرة السلطة القمعية كحالة من الانهيار المستقبلي الذي سيحكم على الأجيال القادمة بالظلام.

٢. تحذير من تراجع القيم الإنسانية: في "الزمن الموحش" لحسن نجمي، يتم تصوير انهيار القيم الإنسانية بشكل تدريجي في مجتمع تتصاعد فيه مشاعر العزلة والانفصال الاجتماعي، حيث يعيش الأفراد في حالة من الاغتراب داخل مجتمع فاقده للهوية والإنسانية. نجمي يحذر من التحولات التي قد تقود المجتمع إلى التفكك الأخلاقي والتراجع عن المبادئ الإنسانية²².

التأثير الاجتماعي والسياسي:

تعمل الروايات الديستوبية في الأدب العربي المعاصر على التأثير بشكل كبير في وعي القارئ حيال القضايا الاجتماعية والسياسية. من خلال التطرق إلى مشاهد مستقبلية تشبه إلى حد بعيد ما قد يحدث في الواقع إذا استمرت الأنظمة الاجتماعية

²¹ محمود سيد حسن، ظاهرة رواية الديستوبيا في مصر الآن الأهرام، صفحة الديمقراطية. العدد ٦٧. ٢٠١٧، ص ٢٨.

²² مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة. ١٩٩٨، ص ٣٥.

والسياسية في نهجها الحالي، يتم تعزيز الوعي الاجتماعي بالمخاطر التي قد تواجه المجتمعات العربية في المستقبل. هذه الروايات تحفز القارئ على التفكير في واقع الحياة اليومية التي يعيشها، وتجعله يعيد النظر في كيفية تأثير قراراته السياسية والاجتماعية على حياته وحياة الآخرين.

١. **القمع وتدمير الفردية:** تظهر الروايات الديستوبية بشكل خاص كيف يؤدي القمع السياسي والاجتماعي إلى تدمير الفردية. في "الطوفان" و "الزمن الموحش"، نجد أن الأفراد غير قادرين على التعبير عن آرائهم أو إحداث تغييرات في محيطهم. هذا القمع يؤدي إلى حالة من الجمود الاجتماعي الذي يفقد فيه الأفراد القدرة على التأثير في مجريات الأحداث²³.

٢. **تدهور العلاقة بين الأفراد والمجتمع:** تعرض هذه الروايات التدهور في العلاقة بين الأفراد والمجتمع، حيث يتزايد الفجوة بين الفرد والنظام الحاكم وبين الأفراد بعضهم البعض. هذا يؤدي إلى شعور عام بالاغتراب والتفكك الاجتماعي، كما نرى في "الزمن الموحش"، حيث يعيش الأفراد في حالة من الصراع الداخلي المستمر، مما يعكس كيف يمكن للتحديات الاجتماعية أن تؤثر سلباً على العلاقات الإنسانية²⁴.

الديستوبيا والوعي الجماعي:

²³ ابراهيم طه: مراجعة في كتاب الرواية العربية بين الواقعية والحداثة وما بعد الحداثة لستيفان ماير، مجلة الكرملن فلسطين، ع ٢١-٢٢، ٢٠٠٠، ص ٦٤

²⁴ مالكوم براد بري: الرواية اليوم، ترجمة: أحمد شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط١، ١٩٩٦، ص ٢١

من خلال تصوير هذه الرؤى المستقبلية المظلمة، تساهم الروايات الديستوبية في تحفيز الوعي الجماعي لدى الأفراد. فمن خلال تسليط الضوء على كيف يمكن أن تؤدي الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية إلى انهيار المجتمعات، تصبح هذه الروايات دعوة للقيام بتغيير فعلي في الحاضر لتجنب المصير المظلم في المستقبل.

١. دور الرواية في النقد الاجتماعي: تعتبر الرواية الديستوبية وسيلة فعالة للنقد الاجتماعي، حيث يُمكن للكاتب من خلالها أن يتناول القضايا المعاصرة مثل الاستبداد، التهميش الاجتماعي، أو تدهور البيئة، ويعرضها بشكل محايد قد يساعد القارئ على الوعي بمخاطر الوضع الراهن. تساهم هذه الروايات في بناء وعي جماعي بضرورة تحسين الأوضاع الاجتماعية والسياسية والبيئية في المجتمعات العربية²⁵.

٢. التأثير على الثقافة السياسية: هذه الروايات تساعد في تغيير الثقافة السياسية لدى الأفراد من خلال دعواتها المتكررة للانتباه إلى الأوضاع السياسية غير المستقرة. من خلال تسليط الضوء على السلطة المفرطة والاستبدادية التي تدير المجتمعات، تشجع هذه الروايات القراء على أن يكونوا أكثر وعياً حول ضرورة مواجهة الطغيان والفساد السياسي والعمل على إصلاح الأوضاع²⁶.

²⁵ هيندلس. ر . مفهوم النظرة إلى العالم وقيمه في نظرية الأدب، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، مجلة آفاق ع ١٠ س ٨٢ الرباط، ص ٢٣

²⁶ جيسي ماتز، تطور الرواية الحديثة، ترجمة: لطيفة الديلمين ص ٣٣٤

الخاتمة:

في الختام، يُظهر البحث كيف أن الرواية الديستوبية في الأدب العربي المعاصر ليست مجرد نوع أدبي يعكس الأزمات والتحديات المستقبلية، بل هي أيضًا أداة قوية للتعبير عن الواقع الاجتماعي والسياسي في العالم العربي. من خلال الروايات التي تم تحليلها، تبين أن الأدباء العرب قد استخدموا هذا النوع الأدبي لتسليط الضوء على مشكلات حقيقية مثل الاستبداد السياسي، التدهور الاجتماعي، تراجع الحريات الفردية، وأزمات البيئة. كما أظهرت هذه الروايات كيف يمكن أن تؤدي السياسات القمعية والظروف الاجتماعية غير المستقرة إلى تدمير المجتمعات في المستقبل إذا استمرت هذه الأوضاع.

الروايات الديستوبية العربية تعمل كأداة تحذيرية للمجتمعات العربية، تُحذر من أن المستقبل قد يكون قاتمًا إذا لم تتم مواجهة التحديات الراهنة بشكل جاد. كما أن هذه الروايات تساهم في بناء وعي اجتماعي وسياسي بين القراء، مما يعزز دور الأدب في الإصلاح والتغيير الاجتماعي. لذا، يُعتبر هذا النوع الأدبي من الأدوات الفعالة التي تمكّن الأفراد من التفكير في واقعهم الحالي والعمل على تجنب العواقب الوخيمة في المستقبل.

النتائج:

١. تبين أن الأدب الديستوبي في العالم العربي يعمل كأداة نقدية هامة، حيث يعكس المشاكل الاجتماعية والسياسية ويحفز التفكير النقدي لدى القراء.
٢. أظهرت الروايات المختارة في الأدب العربي الديستوبي كيف يعكس هذا النوع الأدبي القضايا المعاصرة التي تعاني منها المجتمعات العربية مثل الاستبداد، التدهور الاجتماعي، وغياب الحريات.
٣. تؤكد أن الروايات الديستوبية في الأدب العربي المعاصر تقدم رؤى تحذيرية حول المستقبل، وتصور كيف يمكن أن يؤدي الاستمرار في الأوضاع الحالية إلى كارثة اجتماعية وسياسية.
٤. أظهرت بعض الروايات مثل "الطوفان" دور التكنولوجيا في زيادة القمع والسيطرة على الأفراد، مما يعكس القلق المتزايد من تطور التكنولوجيا في المجتمعات العربية.
٥. أكدت الدراسة أن الأدب الديستوبي لا يقتصر فقط على تصوير المستقبل السيئ، بل يدعو أيضًا إلى الإصلاح والتغيير، مما يفتح آفاقًا جديدة للقراء للتفكير في كيفية تحسين الأوضاع الاجتماعية والسياسية.

التوصيات:

١. يجب أن يُشجّع القراء على قراءة الروايات الديستوبية بهدف تعزيز قدرتهم على النقد الاجتماعي والتحليل العميق للأوضاع الاجتماعية والسياسية في العالم العربي.

٢. من المفيد إدراج الأدب الديستوبي في المناهج الدراسية للمرحلة الثانوية والجامعية، ليتمكن الطلاب من فهم كيفية تأثير الأدب في تشكيل الوعي الاجتماعي والسياسي.

٣. يجب تنظيم ندوات وحلقات نقاش حول الأدب الديستوبي بهدف تحفيز النقاش المجتمعي حول قضايا مثل الاستبداد، الحريات الفردية، والقضايا البيئية، مما يساعد في رفع الوعي حول المخاطر التي تهدد المجتمعات العربية.

٤. من الضروري دعم الأدباء العرب في تطوير أعمالهم الديستوبية، بحيث تكون أكثر تعبيراً عن القضايا الاجتماعية والبيئية الحالية، مما يعزز قدرة الأدب على التأثير في الواقع.

٥. يجب نشر الدراسات النقدية والأدبية حول الأدب الديستوبي العربي لتبسيط الضوء على تجارب الكتاب العرب وكيف يمكن لهذا النوع الأدبي أن يسهم في التغيير الاجتماعي والسياسي في المجتمعات العربية.

المصادر

١. ابراهيم طه: مراجعة في كتاب الرواية العربية بين الواقعية والحدائثة وما بعد الحدائثة لستيفان ماير، مجلة الكرملن فلسطين، ٢١٤-٢٢، ٢٠٠٠، ص ٣٥.

٢. ترجمة فايزة غسان المنجد انموذجا ، هاشم فلاح ، مذكرة تخرج شهادة الماجستير في الترجمة، ٢٠١٣ ، كلية الآداب واللغات جامعة قسنطينة ١ ، الجزائر : ٦٨ .
٣. تغريد فياض، قصص بابل المعلقة، أفتار للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠١٨، ص ٣ .
٤. جيسي ماتز: تطور الرواية الحديثة، ترجمة: لطيفة الديلمي، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ط١، ٢٠١٦، ص ٢٩٠ .
٥. جيسي ماتز، تطور الرواية الحديثة، ترجمة: لطيفة الديلمين ص ٣٠٦ .
٦. الديستوبيا (المدينة الفاسدة في الرواية العربية المعاصرة، قراءة في رواية أورويل) في الضاحية ٣٥ الجنوبية لفوزي ذبيان) ، فاطمة برجكاني، مجلة إضاءات نقدية، ٢٩٤ ، ٢٠١٨ ، ص ٢٢٢ .
٧. الراوي - البنيات الحكائية في السيرة الشعبية سعيد يقطين ، دار الاختلاف، ١٩٩٧، ص ٣٦ .
٨. شلوش سمراء، جدلية اللغة والمجتمع رسالة ماجستير جامعة العربي بن مهيدي الجزائر، ٢٠١٥ ص ٤٥ .
٩. شنقار د. اسماء إبراهيم ، الرواية الديستوبية المصرية مظاهرها ولغتها العربية جمهورية مصر العربية ٢٠٢٠، ص ٣٣ .
١٠. عبد الحميد شاكر، التفصيل الجمالي (دراسة في سيكولوجية التذوق الفني) الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ٢٠١٩، ص ٣٣٣ .
١١. العشري. سلمى أبو زيد ، حول مفهوم اليوتوبيا والديستوبيا كمدخل للاستلهاام في فن التصوير المعاصر بحوث في التربية الفنية والفنون كلية التربية الفنية جامعة حلوان. المجلد ٢١ العدد ١، ٢٠٢٠، ٢٣٨ .
١٢. عصفور جابر، المقاومة بالكتابة قراءة في الرواية العربية المعاصرة الدار المصرية اللبنانية. القاهرة ٢٠١٦، ص ٢٢٢ .

١٣. علوش. سعيد ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة دار الكتاب اللبناني، ط ١. ١٩٨٥، ص ١٢١.
١٤. عليان. د. حسن (٢٠١٧) كتاب تقنيات السرد وبنية يأتي الفكر العربي في الرواية العربية دار الآن ناشرون وموزعون الأردن، ٢٠١٧، ص ٢٢١.
١٥. عياد كوثر ،أدب الخيال العلمي في المغرب العربي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٩، ص ١١٩.
١٦. فضل الصلاح ، كتاب أساليب السرد في الرواية العربية دار المدى للثقافة والنشر ط ١. الجزء ١. دمشق سوريا، ٢٠٠٣، ص ٢٢٣.
١٧. مالكوم براد بري: الرواية اليوم، ترجمة: أحمد شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ١، ١٩٩٦، ص ١٥.
١٨. محمود سيد حسن، ظاهرة رواية الديستوبيا في مصر الآن الأهرام، صفحة الديمقراطية. العدد ٦٧. ٢٠١٧، ص ٢٨.
١٩. مدخل الى التحليل البنيوي للقصص ، رولان بارت ، ترجمة منذر عياشي ، ط ١ ، مركز الانتماء الحضاري ١٩٩٣، ص ٥٨.
٢٠. مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة. ١٩٩٨، ص ٣٥.
٢١. هيندلس. ر . مفهوم النظرة إلى العالم وقيمه في نظرية الأدب، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، مجلة آفاق ع ١٠ س ٨٢ الرباط، ص ٦٢.
٢٢. اليوتوبية مقدمة قصيرة جدا، إيمان تاور سارجنت تر ضياء وراذ ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٦، ص ٥٥.